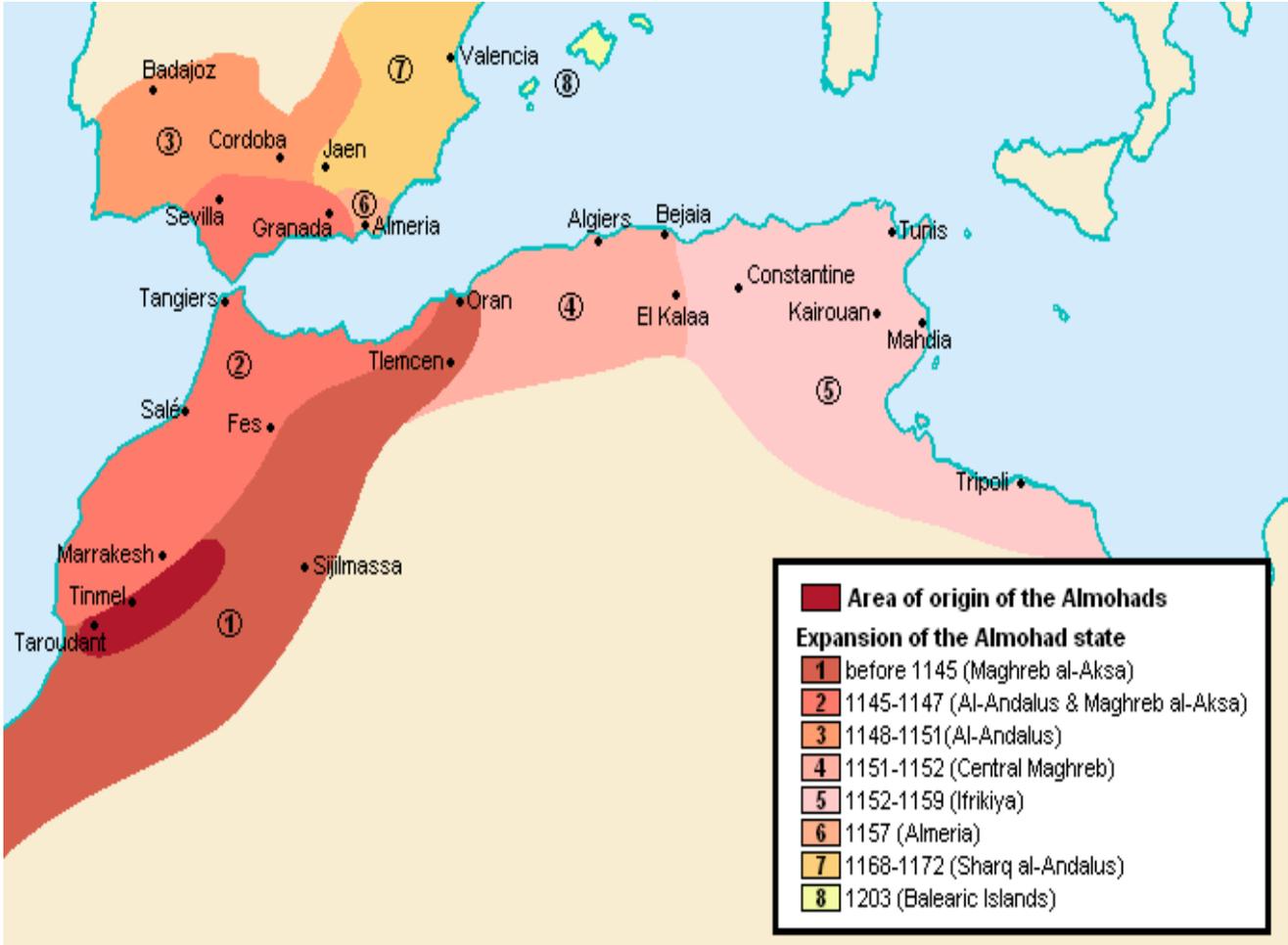


تكوين الإمبراطورية الموحدية

تطلب تكوين الإمبراطورية الموحدية وقتاً طويلاً تجاوز النصف قرن شمل توسعات خليفة المهدي بن تومرت عبد المومن بن علي الكومي وابنه أبي يعقوب يوسف. وامتدت دولة الموحدين في أقصى توسعها على كل بلاد الغرب الإسلامي بمغاربها الثلاث والأندلس. فما هي مراحل التوسع؟ وما هي إنجازات كل مرحلة؟



خريطة: مراحل تكوين الإمبراطورية الموحدية

1- توحيد المغرب

عقب وفاة المهدي بويج عبد المومن بن علي الكومي الزناتي أحد أصحابه العشرة والذي رافقه في رحلة عودته من المشرق من مدينة ملالة قرب بجاية في المغرب الأوسط. وقد صار من طلبته المقربين وأهل ثقته وأحد قواد حركته. واختلف حول ظروف بيعته، فرواية تقول إن المهدي أوصى ببيعته قبل موته ونفذ أصحابه الوصية، ورواية تقول إنه بايعه في حياته فأكدت بيعته بعد وفاته، ورواية ثالثة تقول إن أصحابه هم من بايعوه بعد وفاة الشيخ وتشاور بينهم. ويظهر أن رواية ترشيح الشيخ له لخلافته أقوى سواء بايعه قبل موته أو أوصى بذلك. وتؤكد الروايات أن جماعة الموحدين أخفت وفاة المهدي حتى 527هـ حرصاً على وحدتهم وتجنباً للفرقة والصراع حول الزعامة، ولما تأكدوا من متانة وحدتهم أعلنوا وفاة المهدي ومعها خلافة عبد المومن.

بعد ترتيب أمورهم بدأ الموحدون في عمليات توسع وتركزت جهوده في البداية على مجال المصامدة في الأطلس الكبير وبلاد درعة وسوس. ففي عام 526هـ غزا عبد المومن درعة وهزم المرابطين (تحت قيادة يدر بن ولجوط أو يحي بن مريم) في حصن تازاجورت وضم البلاد كلها. ودخل حصن تاسغيموت في بلاد هزرجة وحصن جلاوة وأرض غجدامة. واشتد الصراع مع المرابطين حول سوس حيث أخذ منهم أمسكروط وتارودانت ومعظم البلاد. وفي عام 533هـ غزا عبد المومن حاحا وهزم تاشفين بن علي والقائد الريبترتر وضم البلاد وانضمت إليه جزولة.

استهدف الصراع في هذه المرحلة توحيد المصامدة كقاعدة خلفية للموحدين وحماية ظهر دولة الأطلس من الجنوب بضم سوس ودرعة. وبعد هذا دخل في مرحلة ضم القبائل الأخرى والمجال الأبعد، فقرر تنظيم حملته الكبرى التي امتدت ما بين 534 و541هـ بدخول مراكش. وقد اختار سلوك الطريق الجبلية وتجنب مواجهة المرابطين في المناطق السهلية. ولما سمع علي بن يوسف بالحملة قرر مسابرة الموحدين على حدود الجبل ومراقبتهم ومنعهم من النزول إلى السهول. وكانت خطة عبد المومن تقتضي كسب ولاء القبائل الجبلية وتجنب قدر الاستطاعة مواجهة أو حصار المرابطين.

بدأت الحملة من تينمل في اتجاه الشرق حيث مرت ببلاد مسفيوة وهسكورة (تاساوت ودمنات) وتادلة (ووزغت وتاكرارات داود بن عائشة وداي) (وببلاد فازاز (قلعة مهدي وأزرو). ومن أزرو قاد حملة نحو الجنوب الشرقي وضم غريس وتدغة بينما تجنب سجالماسة، ثم عاد إلى فازاز ومنها إلى صفرو وتازة (536هـ) ومنها إلى الريف (غمارة وواد لباو وقلعة بادس وتمسمان ومليلة) ومنه إلى غرب المغرب الأوسط (ندرومة وتاجرا ووهران وتلمسان

539هـ) وهنا قتل الريبتر وعلي بن يوسف وأفشل تدخل بجاية لدعم المرابطين. وبعد هذا النجاح قرر عبد المومن مواجهة المراكز الحضرية الكبرى فاتجه إلى فاس مرورا بوجدة وكرسيف ودخلها بعد حصار عام **540هـ** ودخل مكناس وسلا وأزمور ودكالة ثم مراکش التي حاصرها قبل دخولها في شوال **541هـ** (27). وبذلك قضى على المرابطين ووجد المغرب.

في عام **543هـ** ضم سجلماسة.

وكان على الموحدين قبل ضمان حكم البلاد إخماد الثورات المضادة التي تفجرت عامي **542** و**543هـ** في معظم السهول الأطلننتية وسبتة وكادت تقضي على دولتهم. ربع قرن من الزمان لضمان وحدة المغرب تقريبا.

2- ضم الأندلس

بدأت اتصالات الأندلسيين بالموحدين منذ وقت مبكر وحتى قبل تفردهم بحكم المغرب. وتقول الروايات إن وفودا أندلسية اتصلت بعبد المومن وهو في حصار تلمسان (مالقة **539هـ**) أو عند دخوله فاس (بيعة قائد أسطول قانس علي بن ميمون **540هـ**). واستغل عبد المومن الفرصة للدعاية لحكمه ومنع الدعم من الأندلس خاصة الأسطول فأرسل قوات موحدية إلى الأندلس حتى قبل دخول مراکش. وقد نجحت في ضم طريف والجزيرة الخضراء وبلاد غرب الأندلس (شريس- لبله- ميرتله- شلب- باجة- بطليوس) وإشبيلية بعد حصار عام **541هـ**، وقد ثارت ثم أعيد إخضاعها بعد سنتين.

في عام **543هـ** سلم يحي بن غانية اللمتوني قرطبة للموحدين وضموا أيضا قرمونة وجيان وبياسة وأبذة.

وفي عام **551هـ** سلم ميمون بن يدر المرابطي غرناطة للموحدين.

552هـ استرجوا المرية من أراغون بعد حكم عشر سنوات.

وفي عام **566هـ** استولى أبو يعقوب على بلنسية والمناطق الشرقية من ورثة سعد بن مردنيش بعد حرب شرسة.

في عام **578هـ** ضمت جزر البليار من بني غانية.

ضمت الأندلس بمجهود أكبر ووقت أطول من المغرب.

3- ضم المغريين الأوسط والأدنى

كانت بجاية قد تدخلت في صراع عبد المومن مع المرابطين وحاولت مساعدتهم عند حصار تلمسان بإرسال حملة بقيادة ميمون بن المنتصر الذي انهزم أمام عبد المومن. ويذكر البيدق

أنه فر ولما وصل إلى متيجة أرسل إلى عبد المومن إعلان توحيده "وقال له إن أنت استفتحت المغرب فتجيء إلى المشرق تصيبه مفتوحا وأنا قائده" (أخبار 59). وتذكر مصادر أخرى اسم قائد آخر يسمى كباب. ويظهر أن هذه الأحداث قد جعلت عبد المومن يقرر فتح المغرب الأوسط ولذلك نظم حملة سرية وسريعة عام 547هـ انتهت بدخول سهل لبجاية وكل بلاد بني حماد.

كانت معظم مدن إفريقية وعلى رأسها المهدية (543هـ) قد احتلت من قبل النورمانديين ملوك صقلية، ففر أميرها الزيري الحسن بن علي بن يحيى الصنهاجي نحو الجزائر واستوطنها، ولما دخلها عبد المومن بايعه وصاهره ورافقه إلى مراكش. وفي عام 554هـ نظم عبد المومن حركته التي فتحت كل بلاد إفريقية وحررت المدن المحتلة وعلى رأسها المهدية في السنة الموالية.

خاتمة

خلال نصف قرن صار كل الغرب الإسلامي تحت حكم الموحدين من برقة شرقا إلى المحيط غربا ومن شمال قرطبة شمالا إلى الصحراء جنوبا. وكان هذا أوج توسع لدولة مغربية.